

تجلیات الحنین فی الاستذکار الشعری (قصیده "إلى النجف الأشرف بلدى الحبیبة" للشیخ أحمد الوائلى و"ملحمة حیدر بابا التریکیه" لشهریار نمودجاً)

دکتر علی قهرمانی*

استادیار زبان و ادبیات عربی دانشگاه شهید مدنی آذربایجان

کلثوم تنها**

الملخص

الاستذکار حالة إنسانية يشترك فيها جميع الناس، لكنّها تكون مختلفة عند الشعراء وفي الفن عموماً؛ فالذكريات تعدّ مصدراً مهماً يعتمدها الشعراء والفنانون في تشكيل تجاربهم الأدبية والفنية وإثرائها. إن الحنين مقترن بالاستذكار وللشاعر ممكن أن يجعل منه الأساس الذي يركّز عليه بناء قصيدته. قد كان اغتراب الشاعر المثير الأول للحنين الذي كان مدعاة للاستذكار الشعري المتنوع الذي افضى إلى تشكيل القصيدة موضوعياً وفنياً. أنشد الشيخ الوائلى قصيدة "إلى النجف الأشرف بلدى الحبيبة" بعد اغترابه عن موطن طفولته وصباه وشبابه، مدينة نجف الأشرف، في قصيدته يعرب عن حنينه إلى بلده ويستعرض ذكرياته واصفاً بلده بأبهى الأوصاف ويكشف عن معنى داخلي مضمّر في أعماق الشاعر يؤكد علاقته بمدينته وعمق هذه العلاقة ومن جانب آخر إن شهریار الشاعر الشهير الإيراني أنشد ملحمة "حیدر بابا" باللغة التریکیه بعد اغترابه عن مولده ويعبر فيها الشاعر عن ذكرياته عن طفولته وصباه والحسرة على أيامه التي انقضت في الريف عند تنورة جبل حیدر بابا. هذه دراسة مقارنة لهاتين القصيدتين من خلال ديوانهما متبنيّة المنهج الوصفي-التحليلي على أساس مكتب أمريكي في الأدب المقارن، وفقاً فيهما على مستويات الاستذكار الشعري التي وجدناها على ثلاثة أنواع هي: الاستذكار الزماني والاستذكار الاجتماعي والاستذكار المكاني، ومن ثمّ الكشف عن

۹۷

◆

دو فصلنامه مطالعات تطبیقی فارسی - عربی سال ۳، شماره ۵، بهار و تابستان ۱۳۹۷

تاریخ دریافت مقاله: ۱۳۹۶/۷/۱۱ تاریخ پذیرش مقاله: ۱۳۹۸/۲/۲۳

* نویسنده مسئول: d.ghahramani@yahoo.com

** دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه شهید مدنی آذربایجان

الافتراقات والاشتراقات بينهما والمميزات الخاصة في التصاوير الفنية التي أُستخدمت في إبراز خواطرهما الجياشة وخيالهما الشعري الذي ساهم بفاعلية في التشكيل اللغوي والتصويري لشعرهما. من نتائج الدراسة أنّ للطبيعة بعناصرها المختلفة دوراً فاعلاً في تشكيل مستويات الاستدكار الشعري. إنّ تصاوير شعرهما وموسيقاهما تكون في خدمة الفكرة و تؤدي هذه الصور وظيفةً جماليةً منظمة ذات رتبة عند المتلقى وتجعل دور المتلقى مركزياً في عملية الإيصال، مما يساعد على إزالة الفواصل بين شعور المتلقى والشاعر.

الكلمات الرئيسية: الوائلي، شهریار، الحنين، الاستدكار، حيدرآباد، إلى النجف...

المقدمة

للمكان نصيب وافرٌ في شعر الشعراء، ونجد مكانة كبيرة متميزة في قلوب الشعراء، فتغنوا بأرض الطبيعة وعبروا عن حنينهم وأشواقهم إلى تلك الديار. الحنين إلى الوطن غريزة في النفوس سواء أكان عند الإنسان أم الحيوان، يتجلى ذلك في حنين الإبل إلى أوطانها وحنين الطير إلى عشه مهما أخذ وُبعد عنه، يعود إليه قاطعاً مئات الاميال بل الآلاف حتى يجد قرارة نفسه في وطنه، وكذلك يقال في بقية الحيوانات. فإذا كان هذا حنين الحيوان فكيف لا يحنّ الإنسان إلى أرضه ووطنه مهما عاش في حرمان وبؤس، وعانى من الظلم والجوع والفاقة. المهاجرون إلى بلاد جديدة يكونوا خير دليل؛ وقد كسبوا المال والجاه والترف، ولكنهم يحنون دائماً إلى أوطانهم، ويتحسرون على ما يجري فيها من مصائب وضميم ونكبات وعدوان. وفي الآيات الكريمة دلالة على حبّ الناس لأوطانهم ولو قتلوا في سبيلها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٦٦) وفي الحديث النبوي: حبّ الأوطان من الإيمان" (السيوطي، لا تا: ٧٤)، وكان رسول الله (ص) يحنّ إلى مكة وطنه، فكان إذا جاء أحد منها يسأله عنها فتغرورق عيناه بالدموع، وكذلك كان الصحابة يحنون إلى ديارهم، ولزوم الأوطان غبطة (الجبوري، ٢٠٠٨: ٥) قيل لبعض الأعراب: «ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان، قيل فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان» (المصدر نفسه: ٥)

جاء في لسان العرب حول الحنين: "الحنين الشديد هو من البكاء والطرب وقيل هو صوت

يطرب كان ذلك عند حزن أو فرح ... والاستحنان : الاستطراب واستحنّ استطرب، وحنّت الابل : نزعت إلى أوطانها واولادها والناقة تحنّت حنيناً تطربُ مع صوتٍ وقيل تعبير صوت والأكثر ان الحنين مع صوت وحننت الناقة على ولدها : تعطفّت " (لسان العرب، مادة حنين: ٧٤١)

"اما الرازي في مختاره فهو لا يختلف في تعريفه عن أقرانه ففي مادة (حنين) الشوق وتوقان النفس وقد حنّ إليه بالكسر حنيناً فهو حان والحنان. (الرازي ٢٠٠٦: ١٢٤)

مثل الشيخ أحمد الوائلي، علامة متميزة في حياته وبعد رحيله إلى جوار بارئه، من العلامات الدالة على العبقرية الفكرية والعلمية والدينية من جهة، وعلى القدرات والمواهب الأدبية الفذة التي تمتع بها، شاعراً بشكل خاص، من جهة ثانية، حتى كان في حياته مثلاً للنبوغ ولتوجيه هذا النبوغ فكراً وعلمياً وأدبياً (نجيب عباس، ٢٠٠٦: ٥٩-٥٧). اما الحنين في شعره هو الحنين إلى بلده، ففيه الألم واللذة. أصبحت مدينة النجف الأشرف همماً من همومه الشخصية، حتى لكأنها الرحم الحاضن له بكلّيته، جسداً وروحاً على السواء، وهذا ما أظهرته أشعاره التي نظمها فيها، سواء طوال إقامته فيها أو رحيله القسري عنها، بحيث لا يكتفى بالشكوى والألم لابتعاده الجسدي عن هذه المدينة المقدسة فحسب، وإنما يشكو مُرّ الشكوى من أوجاع مرضية أصابت جسده، ومن آلام نفسية جمّة أصيبت روحه بها. موضوع دراستنا هو الشعر الوائلي "قصيدة إلى النجف الأشرف بلدى الحبيبة" من قسم الوجدانيات، كتبها الشاعر بعد اغترابه عن موطن طفولته وصباه وشبابه، مدينة النجف الأشرف وفيها يتجلى حنينه إلى بلده وساتينه ورماله، ذلك الحنين الذي استطاع بمهارته الشعرية أن يحوله إلى قصيدة جميلة. قد اشتملت القصيدة على كثير من الألفاظ التي أكدت موضوعها، وساهمت مساهمة فاعلة في النسيج التشكيلي لها. (نفس المصدر)

بدأت عواطف الشاعر الشيخ الوائلي تجاه مدينته (النجف الأشرف) مزدحمة بالصور والمعاني الصادقة المتدفقة، لكنه لم ينسَ ضرورات البناء الفني اللازم لجعل هذه العواطف تظهر إلى المتلقين بأكمل أساليب البناء الشعري المعروفة، من حيث الاهتمام بالأوزان الخليلية والقوافي التي أضافت إلى المشاعر الجياشة في أعماق نفسه أبعاداً جمالية حاول من خلالها أن ينأى بأشعاره عن المباشرة والسطحية، وعن العبارات الثرية التي تقلل من مستوى

شعریتها المطلوبة، لاسیما أن الشيخ الوائلي قد أدرك هذه الحقيقة وأكده في مقدمة الجزء الأول من ديوانه، إذ كتب: "سببى الشعر ليس مجرد ردّ فعل على الحدث بل حمّال هموم وحليف رسالة وغصن حيناً وسوط حيناً آخر" (الوائلي، ۱۹۹۸: ۱۰).

محمد حسين التبريزي، الملقّب بـ«شهریار» كان حلقة وصل بين الشعر الكلاسيكيّ والحريّ في ايران، ولد عام ۱۹۰۴ للميلاد- في قرية خشكناپ متزامناً بتنفيذ الثورة الدستورية. إنّه قد نشأ وتربى بين جدران بيت كان أبوها بما هو معروف اليوم بـ«المحامى» مثقفاً ومحترماً بين مواطنيه. وعاش الشاعر بين الثقافتين: التركية والفارسية ونهل من منابعهما الأدبية؛ فكانت الأولى هي لغته الأمّ والثانية هي لغة الدولة برزّ فيهما نبوغه الشعريّ في السنّ المبكر. كانت له ملحمة معروفة بـ "حيدرآبا" وهي من روائع الشعر التركيّ يصفها كثيرٌ من النقاد بـ«ذخيرة الأدب العالمى» أو «الشعر العالمى الحرّ» لما تميّزت به من المضامين الإنسانية والسياسية والاجتماعية... وإنها تعتبر «الدرةّ البيّمة» في الأدب التركيّ. (شيخي وزملائه، ۱۳۹۳: ۱۱۷)

يعبر الشاعر فيها عن قريته ومولده وأصدقائه والريفيين وطبيعة ريفه عند جبل حيدرآبا وأيضاً عاطفته الجياشة لمولده والحنين له وذكريات طفولته وصباه في هذا المكان، وتغنّى بجمالها وتمنّى أن يرجع إلى حضنه ليتحدث له من حوادث الدهر وحنزها. كأنّ الشاعر عانى كثيراً من وطأة الحاضر في كنف المدينة وهذه ولدت لديه نوعاً من الغربة الذاتية، والشعور بالكآبة والإحساس بالضّياع، فجاءت قصيدته بالحنين الدائم إلى قريته خشكناپ عند تنورة جبل "حيدر آبا" التي هي رمزُ السكينة والنقاء للشاعر.

من بين الشعوب كلّها هناك ايران والعراق يوجد لهما المشتركات الثقافية والاجتماعية المتشابهة بينهما، وكلّهما سببت التقارب بين الأدبين. فنظراً إلى التقارب الثقافى - التاريخى، والأرضيات المشتركة لمقارنة الإنتاجات بين الثقافتين. قد اشترك الوائلي وشهریار في إبراز عواطفهما الجياشة بمولدهما وإبراز حنينهما. قرن كلا الشاعرين حنينهما بالذكريات وذكر إخوانهما والبساتين والجداول... لقد كانت استذكارات الشاعرين صفحات من تلك الحياة الهائنة والطيبة التي كانت تعيشها في ذلك الزمن الجميل، فكان لطبيعة تلك الحياة بكل تفاصيلها التأثير الكبير في عملية تشكيل نتاجهما الشعريّ فـ"التجربة الشعرية في جوهرها تستمد نسغ حياتها من وجود الشاعر الوجدانى وحضوره الحسى، وآفاقه التأملية في جو

تجليات الحنين في الاستذكار الشعري...

خاص يختلف كل الاختلاف عن الأجواء الاعتيادية لا في الشكل فقط بل في تكوينه كذلك، وهذا العالم من الشمول بحيث تتداخل فيه الأحاسيس والمشاعر واللغة والذاكرة معاً في عملية مكثفة بالغة التعقيد تستمد وجودها من الحياة على نحو مباشر أو غير مباشر، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها معاً." (ثروت، ١٩٧٧: ٢٧٨)

تعرضنا في هذه المقالة لدراسة الحنين والاستذكار الشعري وصداه في الأدبين الإيراني والعراقي، كما قمنا بمقارنة المضامين الشعرية على ضوء الاستذكار الزماني والاستذكار الاجتماعي والاستذكار المكاني واتجاههما في تعبير عن حنينهما وعواطفهما الجياشة نحو بلدهما وتحديثنا عمّا يميزهما وعن أوجه التشابه والتفاوت في تعبيرهما عن مضامين قصيدتهما، والمنهج الذي نوظفه في هذه المقالة هو المنهج الوصفي-التحليلي على أساس أصول المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن.

خلفية البحث

أما بالنسبة إلى الدراسات السابقة فهناك بحوث ومقالات حول الشيخ الوائلي وشهريار لكل منهما بصورة منفصلة، منها: مقالة "تراسل الحواس في شعر الشيخ أحمد الوائلي" لكازم عبدالله عبدالنبي عنوز؛ في مجلة مركز الدراسات الكوفة عام ٢٠٠٧ قام فيها بالدراسة حول تراسلات الشيخ الوائلي مستفيداً من امكانيات الحواس المختلفة لإبراز ما يختلج في داخله من معان وأفكار يساعده في ذلك خياله الخصب. مقالة "الشيخ الدكتور أحمد الوائلي..حياته وهمومه من خلال أشعاره" للدكتور عبدالمطلب محمود سلمان والدكتور غانم نجيب عباس من جامعة المثنى؛ قام فيها بجوانب من حياة الشيخ ومسيرته العلمية والأدبية وموضوع أشعاره بصورة موجزة. مقالة معنونة بـ "تجليات الحنين في الاستذكار الشعري؛ قصيدة الحنين للشيخ أحمد الوائلي" للدكتور خضير درويش، قام الكاتب فيها بدراسة قصيدته "الحنين" على مستويات الاستذكار الشعري على ثلاثة أنواع من بُعد اللفظ والدلالة والمحتوى. رسالة معنونة بـ "دراسة في شعر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي أغراضه وفنونه" لآمنة ماجدى بمرحلة الماجستير بجامعة الشهيد چمران للأهواز سنة ١٣٨٨هـ-ش؛ قد قامت فيها بحياته العلمي والديني والسياسي وتطرق إلى أغراضه الشعرية المختلفة بصورة

کلیه منها: الرثاء والمديح والإخوانيات والإجتماعيات والحكمة والسياسة والدين والوطن. رسالة معنونة بـ " الاغتراب في شعر الشيخ الدكتور الوائلي؛ دراسة تحليلية" لأثير عبدالزهرة عبد علي، مرحلة الماجستير، في جامعة ذي قار سنة ۲۰۱۱م؛ لم نستطع أن نجد هذه الرسالة إلا ملخصة منها مع الأسف. قد قام فيها الكاتب باغتراب السياسي والإجتماعي والزمكاني ودراسة دلالية في شعر الوائلي. وفي شعر شهريار هناك دراسات كثيرة منها: كتاب "در خلوت شهريار" لسيوك نيك انديش؛ قام فيه الكاتب بحياة الشاعر وموضوعات أشعاره على الأخص بغزلياته. كتاب "زندگی ادبی واجتماعی استاد شهريار" من أحمد كاويان بور؛ قد قام فيها الكاتب مثل الكتاب السابق بدراسة حول موضوعاته الشعرية. رسالة "بررسی وتحليل ديوان استاد شهريار" لمحمد ابراهيم حاتمی في جامعة تربية مدرس سنة ۱۳۷۵، وقد قام فيها الطالب بدراسة حول ديوان الفارسي للشاعر من موضوعات ومعانٍ وبلاغية. مقالة "الإستعمار وأساليب مكافحته في شعر الجواهري وشهريار" من علي رضا شيخی وزملائه، في مجلة بحوث في الأدب المقان بجامعة رازی - کرمانشاه سنة ۱۳۹۳هـ. ش العدد ۱۶؛ قام فيها الكاتبان بدراسة مقارنة بين محمد مهدي الجواهري وشهريار من خلال ديوانيهما بحثاً عن وجهات نظرهما حول الاستعمار ومخططاته في بلدين العراق وإيران. لقد شملت هذه الأبحاث والدراسات، العديد من الملاحظات والاستنتاجات النقدية الصحيحة ولكن ما يميز هذه الدراسة غير المسبوقة - حسب معرفتنا - هو المقارنة بين هاتين القصيدتين الرائعتين من الشعارين - الوائلي وشهريار - في الأدب الإيراني والعربي، وبين اللغتين التركي والعربي، والتركيز على تحليل رؤيتهما في مستوى الاستذكار الزماني والإجتماعي والمكاني وعلاقتهم بالحنين عند الشعارين والكشف والبحث عن وجهات نظرهما وتطبيق بينهما في المستوى الثلاثة من بعد الصورة والمضمون.

مستويات الاستذكار الشعري

۱. الاستذكار الزماني

الاستذكار الزماني هو نتيجة ثقل الزمان الحاضر على ذات الشاعر حيث يجعله يحن إلى الأزمان الماضية التي احتضت أحلى ذكرياته والمفارقة بين الزمن الحاضر والماضي هي من

تجليات الحنين في الاستذكار الشعري...

أهم عوامل الاستذكار الزماني عند الشاعر وهي التي تجعل الشاعر يصبو إلى الزمن الماضية، زمن ذكرياته لعلّه يخفف به ثقل الزمان الحاضر عليه. تبين في دراستنا لقصيدتهما أنّ الاستذكار الزماني قد توزع على عدد من المواقيت هي: الليل، المساء، الفجر، عهد الصبا، الشباب....

يقول الواصل وأصفاً مساءً بلده:

مَجْدُولَةٌ كَجَدَائِلِ الحَسَنَاءِ وَ شَقَائِقُ النِّعْمَانِ فِي وَاِحَاتِهَا
لِلدَّلِّ وَالصَّبَوَاتِ وَالإِغْرَاءِ وَ رُؤَى دِيَارَاتِ الأَسَاقِفِ صُبْحُهَا
شَرِبَ العَبُوقَ وَ جَدَّ فِي الإِسْرَاءِ وَ مَسَاوِهَا تَمِيلُ إِذَا نَامَ الِوَرَى
(الواصل، ٢٠٠٧: ٢٨٨)

يصف الواصل في المقطع الثاني عن مبلغ أساه ولأوائه لبعده عن بلده النجف وإثره يصف مساء مدينته ويتغنّى بها بأجمل العبارات ويتذكر شقائق نعمان واحة مدينته ومرايع طفولته ويقول من سحر مناظرها في الصباح وأنشد شعره حيناً وحرقة لها فيخاطب بلده ويتذكر خواطره في المساء ويشبه مساءها بسكران شرب العبوق بالعشى حين ينام الناس، يرسم الشاعر صور تلك الذكريات وهو صورة متحركة حسية وحركتها تتابعية قد تحدّد بلفظ (تمل).

ويقول شهريار:

حيدر بابا كندين گونی باتاندا،

اوشاقلارون شامين ييوب ياتاندا،

آي بولوتدان چيخوب قاش-گوز آتاندا،

بيزدن ده بير سن اولارا قصه ده،

قصه ميزده چوخلى غم و غصه ده (شهريار، ١٣٧٣: ٤٠).

حيدر بابا! حين تجنح شمس القرية نحو المغيب* و الأولاد يميلون إلى المنام بعد

تناول العشاء* والقمر يغازل خارجاً من وراء الغمام* فاحك لهم عنّا حكايات

وقصص* وادرج في قصصك كثيراً من الاحزان والهموم

يخاطب الشاعر جبل حيدر بابا حين غروب الشمس ويذكر أيامه السعيدة في هذا الريف

الحبيب وأطفال القرية ينامون بعد تناول العشاء لأنهم تعبون طوال اليوم في الطبيعة والصحراء

إثر ملاحظتهم. هذه الأبيات يعبر عن شوق الشاعر إلى قريته التي نشأ بها وفيها ملاعب صباه ومرابع أهله، فإذا ذكر دياره فاضت عيناه بالدموع ويطلب من جبله أن يحكى لأطفاله حكاية العاشق الذي بُعد عن دياره. إن هذا النوع من الاستذكار في الليل توأمان مع الحزن والشجن. ومما نرى الالتفات إليه هنا أن الشاعر استعمل الاستعارة المكنية البارعة وهي تكون في "آي بولوتدان چيخوب قاش - گوز آتاندان": يعني شبه القمر بامرأة بيضاء التي تدلُّ ومضةً وهي صورة حسية بصرية حركية تصور تفاعله مع تلك الذكريات المصورة.

ويقول الشيخ الوائلي في المستوى الزماني أيضاً:

سَجُّعُ البَلَابِلِ جَنَّبَ صَوْتِ فَوَاخَتِ وَ هَدِيلُ كُلِّ حَمَامَةٍ وَرَقَاءِ
وَ مَطَارِحِ العَصْفُورِ فَوْقَ نَخِيلِهِ أَعْرَاسُ كُلِّ صَبِيحَةٍ وَ مَسَاءِ

(الوائلي، ٢٠٠٧: ٢٨٩)

الشوق إلى الوطن يحتل مكانة كبيرة في شعر الشيخ الوائلي. الشاعر يذكر أنسه بمدينةته على المستوى الزمني ويشبهه سجع البلابل والفواخت هديل الحمامة وعش العصافير المزدحمة فوق النخل من الإزدحام، بحفلة العرس فيها سرور ووضوء كل صباح ومساء. مما تمتاز به قصيدة الوائلي كثرة الصور فيها، الصور الحركية و اللونية و البصرية. الصورة الحركية تتمثل في نمط من الصور يجعل الحركة أساساً لتشكيل الصورة، بهدف بث الحيوية في النسيج الشعري وعبقرية الشعر تكمن في إبراز الفاعلية والنشاط الحركي الذي ينساب على سلسلة من لحظات متعاقبة (خضر، ٢٠٠٤م: ١٨٩). يتذكر الشاعر وقفه خلف نافذة غرفته، فسحرة المناظر الخلاب مساءً وصباحاً، فأصغى إلى سجع البلابل وتغريد الطيور فأطلق العنان لخياله ليكون من رؤاه الخارجية عالماً واسعاً، ساعدته في ذلك مهارته ودقته في تنسيق الصور الحسية من خلال التبادل في وظائف الحواس "إذ يكون الكلام متداخلاً، لا يكون واضحاً، ويكون العلاقات بين العطور والألوان والأصوات بحيث يكون التعبير عن واحدٍ منها بواحدٍ آخر عنها" (الظاهر، ١٩٨٣: ٥١)

إن الأثر النفسي طاغ بصورة واضحة على اجواء نص شهر يار الشعري؛ يعود الشاعر إلى أيام صباه، وهو يرسم هنا صورة عيش الريفى والراعى والغنم فى صباح الباكر إذا الراعى يحمل أغنامه إلى الصحراء ويتبعه للرعى ويصف لنا إيقاظ نساء الريف إقداماً لإنجاز عمل

البيت في صباح الباكر منها طبخ الخبز وإنتشار رائحته وحرارته في كل مكان وهي صورة حسية بصرية متحركة تمثل الحنين الذي تغلغل في قلب الشاعر، فهو يشعر بالراحة بذكر هذه المناظر المستوحاة من وطنه البعيد وأحابيه الذين يشواق إليهم ولا ينساهم. الشاعر في استعماله الصور الحسية «لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسوسات، بل الحقيقة إنه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالة وقيمتة الشعورية» (اسماعيل، ١٩٨١: ٧٠)

فرسم الشاعر أيضا صورة بارعة ومتحركة وهي صورة صوتية من الصوت المعزى والقطيع بكل أنواع الحيوانات من الأنعام وهو يشير هنا إلى تلك العلاقة الحميمة التي تربط بين الحيوان والأرض والإنسان، فللقطيع والاعناب مواضعها التي تعود إليها، تُعدُّ لها بمثابة الوطن كما أن له أهله الذين يعدونه أحد مكونات حياتهم الأساسية:

سَحَر تَتَرَدَن، ناخِر جيلار كَلَرْدِي،
قُوِيُون - قُوِيِي، دام باجادا مَلَرْدِي،
عَمَه جَانِيَم كُوَرِيَه لَرِيَن بَلَرْدِي،
تَنَدِير لَرِيَن قَاوَزَانَرْدِي تُوَسْتُوَسِي،
جُوْر كَلَرِيَن، كُوَزَل اِيِي اِيَسْتِيَسِي. (شهر يار، ١٣٧٣: ٤٥)

و الرعاة كانوا يرجعون في الصباح الباكر* وكانت الاعناب تَمأمئ مع حملانها في الزرائب والحظائر* وكانت عمى الحبيبة تلف صغارها في القماط* والدخان كان يعلو من التناير* ورائحة الخبز وحرارته كانت تنتشر في كل مكان
يقول الشيخ الوائلي: أن يوم فراقك (يعني من بلده) كان يوم انتهاء كل شبابي وآمالي وكل ما يُسرُنِّي انتهى بفراقك. شبَّ الشاعر هنا آماله وخواطره في صباه بالبراعم. "نسيج البكر" هو الخواطر والآمال التي ناضجة للشاعر دائماً في قلبه لكن ضاعت بالفراق من دياره المحبوب. نسب الشاعر نفسه بتراب وطنه ولهُ في تَرِي تَرابه جذورٌ موعلةٌ "من أعظم الأجداد والآباء"، وكونه سيكون منتهاه في تَرابه مع أصوله وفروعه الأُسْرِيَّة. إن استذكار الإنسان لهذا الميقات الزمني (أيام صباه) من مراحل حياته العمرية، إنما هو حالة إنسانية يسعى إليها الإنسان عادة عن طريق الحنين أو الاستحضار، لأنها في الغالب تمثل أخصب أو

أفضل الأوقات التي يمرُّ بها الإنسان في مراحلهِ العمرية. البراعم يكون أيضاً في نظر الشاعر هو الصبا الذي تنعم فيه، وهو ما وصفه بالبراعم والبَهجة والهناء والبسمة.

وَبراعمٌ لى فى حشاكِ دفنتُهُم
وَاريتُ فيهِم للطفولةِ بسمةً
وَدفنتُ فيهِم بَهجتى وهنائى
فليديكِ أصلى والفروعُ وإنسى
كانوا النسيجَ البكرَ من أحشائى
أنا لاحقٌ بهما بدونِ مِراءِ
(الوائلى، ٢٠٠٧: ٢٩١)

ويقول شهریار في المستوى الزمانى:

حيدر بابا، آغا جالارون اوجالدى،

اما، حيف، جوانلارين قوجالدى!

توخيلارين آريخليوب، آجالدى!

كولگه دوندى، گون باتدى، قاش قرلدى!

قوردون گوزى قارانليقدا برلدى (شهریار، ١٣٧٣: ٤١)

حيدر بابا لقد ارتفعت اشجارك وطالت* ولكن للأسف قد شاب شبابك* وقد جاءت اغنامك وهزلت* ومال الظل* وغابت الشمس وساد الظلام* وتألقت عيون الذئب وسط الظلام

حنين الشاعر لأرضه وأحبائه مُتقد، وترجم عنه في عاطفة حزينة صادقة؛ فحديثه في هذه الأبيات كله يحكى لنا من همّه وأرقه وألمه مما يلاقى من الفراق إلى الوطن. عبر الشاعر فراقه عن أرضه مساوياً للظلمة؛ لذا جعل الليل في هذه الأبيات بمعناها السلبي لأن الليل في الغربية يعرض له معاناته. "توخيلارين آريخليوب آجالدى" كناية من البأس والفقد "طوال الدهر وشبهه الشاعر المصائب بـ"قورد" (الذئب) الذى كناية من الخبائث ومصائب الدهر وفيها استعارة مكنية أضاف الشاعر صفة الموجود الحى للمصائب وهو سرحان.

الاستذكار الاجتماعى

الاستذكار الاجتماعى هو إرادة الشاعر لرسم صورة واقع حياته بواسطة الطبيعة، حيث يجعله يحنُّ إلى الأزمان الماضية وإنما يريد بواسطتها أن يكون أكثر قرباً من الطبيعة ساعياً إلى التوحد معها والإرتماء بأحضانها، ليعبر عما هو غائر فى أعماق ذاته فـ"الشاعر الوجدانى

تجليات الحنين في الاستذكار الشعري...

في العصر الحديث قلما يكتب قصائد تتناول الطبيعة منفردة أو ما يسمى قصائد (وصف الطبيعة) إذ أنه يجد نفسه محاصراً بقوة خفية تسعى به إلى نشوة احتضان الطبيعة أو الامتزاج بها... والشعراء الوجدانيون يقتربون منها اقترباً تماسياً حدسى يقود إلى فهم واستنتاج وجدانين، للتعبير عما يختلج في نفوسهم من حالات نفسية، ولا يهضمونها إلا من خلال تمثيلها في وجدانهم... فهم بذلك يتحدثون معها ويحيون في داخلها، وبذلك يكشفون خبايا النفس الإنسانية لا الطبيعة" (جعفر، ١٩٩٨: ٦٥-٦٤) لقد أراد الشاعر أن يشركا الطبيعة في رسم صورة الواقع الذي كانا يعيشانه فسعى إلى ذلك بواسطة الإستذكار الإجتماعي.

يقول الشيخ الوائلي:

وتراب أوطاني ربيع أخضرُ ولو أنّها في بلقع جرداء

(الوائلي، ٢٠٠٧: ٢٨٧)

فهو قد شكّل من عناصر الطبيعة صورة حسية بصرية تتم عن ذلك، فصور بالأسلوب الإستعاري المؤسس بطريقة التضاد صورة تلك الحياة الجميلة، إذ أسهم اللون الأخضر الذي اعتمده الشاعر في هذا التشكيل إسهاماً كبيراً في رسم تلك الصورة، فتراب وطنه على الرغم من أنه أرضٌ مُفقرٌ لاشيءٍ فيها وَصَفَهُ الربيعُ الأخضرُ فهذا الوصف يتناقض على المستويين: المستوى اللوني ومستوى الدلالة، ولكن الشاعر بتعليقه لفظ تراب وطنه بالصفة المشبهة التي جاءت على وزن فاعيل وأفعل (ربيع، أخضر) المتضمنة الصفة اللونية ذات الدلالة الرمزية أحال ما هو مجذب من العيش إلى أخضر. فالشاعر استطاع "أن يحول الألوان لتكون دلالات تحمل في ثناياها أبعاداً وظيفية أكثر ممّا تحمل من صورٍ بصريةٍ تلتقطها العين، فاللون لا يدخل في نسيج النص الشعري على مستوى التركيب فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى مستوى الدلالة أيضاً. (ربابعة، ٢٠٠٠: ٥١). لذلك نستطيع أن ندرك هذا المفهوم أن سبب توظيف الشاعر للون الأخضر والربيع هو "اللون الأخضر لون الحقول الخصبة ولون الأمل بمحاصيل ثمينة، لذا يرمز اللون الأخضر إلى الأمل" (دملخي، ١٩٨٣: ٨١)

ويقول شهریار:

حيدر بابا كهليڪرون اوچاندا،

كول ديبينن دوشان قالخوب، قاچاندا،

باخچالارون چیچکلنوب آچاندا،

بیزدن بیر ممکن اولسا، یاد اله،

آچیلیمان اورکلری شاد اله (شهریار، ۱۳۷۳: ۳۱).

حیدر بابا حین تطیر الحجال فوقک* و تخرج الارانب من تحت الشجیرات* و تفتح
الأزهار فی حدائقک* فعند ذاک لو تمكنت فذکرنا* و ادخل السرور فی القلوب
المهمومة.

لقد صار الحزن رفيقه الدائم الذي يُظهر شجنه الذي لم يُعد قادراً على ستره بتأثير
عاطفته الملهبة، ذلك الحزن الذي يتطلب دمه وأدى إلى أن الشاعر استدعى جبل ريفه
"حيدر بابا" وطلب منه أن يذكره حين الربيع وحين ريعان الأزهار وهو غريب، فقد كثر البعد
وعزّ اللقاء! فلا شيء يسعده ولا أحد يُواسيه وقد سئم ما هو فيه من حيرة وضياع، لذا إنّه
استعان بمجموعة من الدلالات لتجسيد خوالجه وهو اجسه فوصف الطبيعة الصامتة من جبال
وشجر وبستان إلى جانب الحيوان والطير والأرنب على مستوى الاجتماعي فيصور لنا ملامح
بيئته ويشكو ورائه من بعده عن موطنه وتقلب أحوال الزمان. استطاع الشاعر هنا أن ينجح
في رسم جو شعري موح بعالم مملوء من الحركة والنشاط في الريف عن طريق المفردات و
التراكيب التي جاءت متماشية وهدير اعماق الشاعر وخوالجه. تجمع عناصر حركية وبعضاً
صوتية توحى بصفات القرية الايجابية. يكون تكرار الكلمة "حيدر بابا" ملتفتاً النظر؛ انّ
"التكرار يوفر طاقة مضافة تحدث أثراً جليلاً في المتلقى.. وله دور بناء في الافهام و يعين
المتكلم على ترسيخ الرأي و الفكرة، فالتكرار يؤدي الى تقوية النبرة العامة للكلمة (مثنى كاظم،
۲۰۱۵: ۱۵۳). يقول غريماس: ثمة ما يبرر للتكرار وجوده، انه يسهل استقبال الرسالة، غير أن
وظيفة التكرار لا تقف عند هذا الحد ذلك لانها تخدم النظام الداخلي للنص تشارك فيه و
هذه قضية مهمة لأن الشاعر تستطيع بتكرار بعض الكلمات ان يعيد صياغة بعض الصور كما
يستطيع ان يكتف الدلالة الايحائية للنص من جهة أخرى (عياشي، ۲۰۱۵: ۷۳). فللتكرار صور
كثيرة في منظومة شهریار منها تكرار الجمل وتكرار المفردات وتكرار الأصوات. تكرار الجمل
والمفردات جاء لتفخيم وتعظيم حنين الشاعر لبلده وشدّ انتباه المتلقى إليها. كما يقال من مثل
تكرار حيدر بابا في ثلاثين بيتاً وتكرار "بولاخ" (الينبوع): حيدر بابا اوزون گولسون، بولاخ

لارون آغلاسون/ بولاخ قينر چاي - چمنين گوزونده/ بولاغ اوتى، اوزهر سويون اوزونده
/حيدر بابا بولاخلارين يارپيزى، بستانلارين گلبسرى، قارپيزى و...
وأما الشيخ الوائلى فى قصيدته يصوّر مدينته على المستوى الإجماعى و النفسى، فرسم
لنا صورة أسهمت الطبيعة فى تشكيلها بصورة جلية.

بلدى جداولُ عذبةٌ رِقَاقَةٌ جاد الفراتُ بها، فأىّ عطاء؟!
روى السهول العارياتِ ولّفَهَا من خصبه وخصيله بغطاء
فإذا البقاعُ اليابساتِ عرائسُ مجلوةٌ بملاءةٍ خضراء
و إذا الروابى الجردُ روضٌ يزدهى بجنائنٍ وسنابلٍ شقراء
و إذا الشجيرات الخضيلةُ ألسنُ يشكرن ما للماء من آلاء.

(الوائلى، ٢٠٠٧: ٢٨٨)

هنا يعرض الشاعر ملامح مدينته، إنها تعج بالحياة، هى صورة للحب من الريف، يصف
جداول مدينته فائضةً بالماء وخصب السهول. هو يسترجع ويستذكر أيام الطفولة وأماكن
العابه فى السهول وجنب الجداول والبساتين فحزته الذكريات، فتناول بأسلوب الاستعارة
فقال "البقاع اليابسات عرائس" فقد شبه البقعة اليابسة بالعروس التى تغطى ملابس الخضرة
بطريقة الإستعارة المكنية ولها دورٌ فى تعميق الصورة، وتجسيد التجربة وترجمتها إلى واقع
محسوس. وقد جاء الاستعارة الأخرى قد شبه الشاعر الشجيرات الخضرة كإنسان له لسان
يشكر بنعمة الماء، هذه الصور تكشف مدى إحساس الشاعر وانفعاله بهذه المشاهد ويعطى
الشاعر نكهة من الرخاوة والليونة وتكشف مدى غربة الشاعر وضيقةً بمناخ الحياة فيها. لقد
شكل الشاعر هنا صورة حسية بصرية لونية أساسها اللون الأخضر، فهو لون الحقول الخصبة،
و"يدلّ على الحياة والشباب ويحرر النفس ويوجه الشعور نحو الشيء الأبدى" (دملخى،
١٩٨٣: ٨٢). إن اعتماد الشاعر الرمز اللونى فى تشكيل الصورة الشعرية يُثرى صورته، ويُعلى
من درجة تشكيلها على المستوى الفنى لأنّ "الرمز يستحضر ألفاظاً خاصةً به، تساعد على
تعميق مجراه، وهى بدورها تخلص الصورة، وتغنى مناخها" (عساف، ١٩٩٦: ٢٤٨).

وأما شهريار نأى من دياره ويشكو من قسوة الإغتراب، فعبر عن مكنونات صدره فى
هيئة الشعر فى ديار الغربة تنفيساً عما يُعانيه من شوق وحنين وهمّ دفين:

بیر اوچیدیم بو چرینان یئلینن،
 باغلاشیدیم داغدان آشان سیلینن،
 آغلاشیدیم اوزاق دوشن ائلینن،
 بیر گوریدیم آیریلیغی کیم سالدی!
 اولکه میزدہ کیم قیریلدی کیم قالدی!
 من سنون تک داغا سالدیم نفسی،
 سن ده قیتر، گوئلره سال بو سسی،
 بايقوشدان دا دار اولماسین قفسی،
 بوردا بیر شیر داردا قالیب باغیریر،
 مروتسیز انسانلاری چاغیریر (شهریار، ۱۳۷۳: ۴۷) .

لیتنی أستطیع الطیران مع هبوب الرياح * واتغنی مع السیول المنحدرة من الجبال * (و انوح مع الحی الذی ابتعد عن الأحباب * (وأبحث عن الذی قرأ آیه الفراق هناک * و أسأل عن الذین ماتوا فی بلدی و الذین عاشوا * لقد ارسلت صراخی و ندائی مثلک فی الجبل * فرڈ انت صراخی وارسله نحو السماء * أملى ان لا تكون الاقفاص ضیقہ ولو كانت للبوئمہ * فهنا یصرخ أسد فی حرج * ینادی بالناس الظالمین * عبر الشاعر عن غربته ولوعته ويستذکر أصحابه وقومه فی غربته ویتمنی لو یستطیع یلاقیهم. یستفید الشاعر الرومانسی من عناصر الطبيعة لإبراز عواطفه ومشاعره بدياره وقومه؛ الريح التي تهب من جهة الأهل والوطن تنیر الحنین فی مشاعره وكذلك السیول والشلالات فی تنورة الجبال تذکره بقومه وأحابه، حیث یخاطب جبل ریفه "حیدربابا" حتی یرجع صدی صوته فی السماوات لیخبر الآفاق من هجره من دياره و یشبّه نفسه بالأسد المحبوس فی القفص یصرخ من الفراق کزئیر الأسد خلاصاً من قفص الغربة. ینتقل الشیخ الوائلی فی المقطع الثامن إلى أصحاب العلم فی بلده ویفتخر ببلده الذی یربّی هذه العلماء ویحنّ إلى وطنه وأهله الذین كانوا أهل العلم و الجود والكرامة ویفتخر بصفة کرهم وجودهم وشجاعتهم فی میادین الحرب. "بلد الفصاحة والسماحة والندی/معرس الأبرار والفقهاء" یكونوا إضافة الاستعارية التي شبّه بلده بالعالم الفصیح والإنسان الکریم ومهبط الأبرار والفقهاء. من صور الموجودة أيضاً فی هذا المقطع تکرار؛

"في القصيدة تكرار حرف أو أكثر فهو إما أن يكون لإدخال تنوع صوتي يخرج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه ايقاعاً خاصاً يؤكدُه وإما أن يكون لشدّ الانتباه إلى المعنى عن طريق تشابه الاصوات في الكلمات". (عياشي، ٢٠١٥: ٧٢) كما نلاحظ في هذا المقطع في تكرار حرفي التاء والميم:

نَبَّتْ بترتبه العلومُ وأنجبت
بلد الفصاحة والسماحة والندى
وَأبوفوارسَ لو سَبَرَتْ كِفاحَهُمْ
لقرأتَ فخرَ ملاحم الهيجاء

(الوئالي، ٢٠٠٧: ٢٩٠)

وشهريار بعد أن يذكر خواطره مع أهل ريفه عند جبل حيدرآباد، ويسأله عنهم والوطن، ويحن إليهم أخذ يلوم ويتعبُ أصدقائه وحَدَّهم وتركوه. يجد الشاعر نفسه بين الوحشة والوحدة القاسية؛ الغربية داخل الوطن أقسى أنواع الغربية، فالمغترب يقاسى من العزلة والتمزق والوحشة، وتزداد لوعة وألماً عند المفكرين والشعراء المرهفين.

حيدرآباد يار- يولداشلار دوندولر،
بیر- بیر منی چولده قویوب، چوندولر،
چشمه لریم، چراغلاریم، سوندولر،
یامان یترده گون دوندی، آخشام اولدی،
دنیا منه خرابه شام اولدی (شهریار، ١٣٧٣: ٤٢).

حيدر بابا! لقد تغير الأصدقاء* وتركوني وحيداً في القفار) و تولوا* فضبت عيوني
وانطفأت الأنوار* فغابت شمسي وحل الظلام في أسوأ زمان* واصبحت الدنيا على
كأطلال الشام

الاستذكار المكاني

يُعد علاقة الإنسان بالمكان من أقوى العلاقة فهو "لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها (الأنا) صورته، فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءاً في بناء الشخصية البشرية: (قل لي أين تحيا

أقل لك من أنت؟) فالذات البشرية لاتكتمل داخل حدود ذاتها ولكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها، وتسقط على المكان قيمتها الحضورية". (لوتمان، ١٩٨٦: ٨٣)

يبقى دائماً أن "المكان الفعلي حس أصيل وعميق في الوجدان البشري، وخصوصاً إذا كان المكان الوحيد هو وطن الألفة والإنتماء الذي يمثل حالة الإرتباط البدئي المشيمي برحم الأرض الأم، ويرتبط بهناء الطفولة وصبابات الصبا. ويزداد هذا الحس شحداً إذا ما تعرض المكان للفقد أو الضياع" (الضبع، ١٩٩٨: ٧١)

ذكرُ المكان لدى الوائلي يعطى دلالة واضحة على وطنيته وتعلقه بهذه الأرض التي حنت عليه وغذته، فالمكان «جزء تكويني مهم من البنية السورية... يتشكل في ذاكرة الأديب أو الفنان عموماً عبر زمن غير محدود، فنتائج المشاهدات الحياتية اليومية، تتجمع في ذاكرة الفنان، وتبرز في عمله الإبداعي واقعاً متصوراً وجديداً وحيماً، ومتطوراً عن الواقع الأول» (حمزة، ١٩٨٩: ٥٩) لقد كانت مدينة النجف المكان المستذكر الأساس الذي انبثقت عنه أجزاء أو تفاصيل مكانية أخرى تمثل بعضاً من مكوناته هي: النخل، الرمل، الجداول، الوادي، السهول، المراتع، الصحراء... "راح الشاعر يستعرض ذكرياته واصفاً بلده (نجفه) بأبهى الأوصاف وأزهاها، إذ طالما سميت بطاها الناعمة باسم "وجنة العذراء" وكانت مسارح الطباء وحدائق لشقائق النعمان وبساتينها الوارفة الأشجار والنخل، حتى ليحسبها المتلقى الجنة الأخروية التي وعد الخالق تعالى بها المؤمنين" (نجيب عباس، ٢٠٠٦: ١٠٢)

يا سحر شلال الأصيل بموطني	والأفق يلبس منه أي رداء!
وبطاح ناعمة الرمال صعيدها	سَمَوْهُ يوماً وَجَنَةَ العذراء
ومسارح الطَّيِّبات في وادي النقا	بين السَّدير وجهة الصَّحراء...
ومن الجداول هادرٌ ومهمَّس	قيثارتان تنوعاً بأداء
ومن الجنان مصفَّفات بالجنى	حفلت من البركات والنعماء

(الوائلي، ٢٠٠٧: ٢٨٩)

الشاعر حين يستذكر النجف موطن تلك العهود، يستذكر شلاله وفراته وأفقه ورملة ومسارح طبيباته وجداوله وبساتينه الملفوفة بالشجرات والأوراق. يشبه الشاعر رمل بطاحه

الناعمة في لينة ولطافته بخد العذراء ويشبه حالت صوت الماء في حاله ارتفاعه وانخفاضه بصوت قيثاره يرتفع حيناً وينخفض أخرى. إن هذا الاستذكار الوصفي الجميل للطبيعة، لم يكن المبتغى الأساس الذي أراده الشاعر وإنما أراد بوساطته أن يكون أكثر قرباً من الطبيعة ساعياً إلى التوحد معها والإرتماء بأحضانها، ليعبر عما هو غائر في أعماق ذاته فـ" الشاعر الوجداني في العصر الحديث قلما يكتب قصائد تتناول الطبيعة منفردة أو ما يسمى قصائد (وصف الطبيعة) إذ أنه يجد نفسه محاصراً بقوة خفية تسعى به إلى نشوة احتضان الطبيعة أو الامتزاج بها... والشعراء الوجدانيون يقتربون منها اقترباً تماسياً حدسي يقود إلى فهم واستنتاج وجدانين، للتعبير عما يختلج في نفوسهم من حالات نفسية، ولا يهضمونها إلا من خلال تمثيلها في وجدانهم.. فهم بذلك يتحدثون معها ويحيون في داخلها، وبذلك يكشفون خبايا النفس الإنسانية لا الطبيعة" (جعفر، ١٩٩٨: ٦٥-٦٤)

وأما شهریار يقول من حنينه إلى دياره في المستوى المكاني:

حیدر بابا قارلی داغلار آشاندا،
گنجہ کروان یولون آشیب چاشاندا،
من هارداسام تهراندا یا کاشاندا،
اوزاقلاردان گوزوم سئچر اونلاری،
خیال گلیب آشیب گئچر اونلاری
بیر چیخیدیم دام قیه نین باشینا
من ده اونون قارلارینان آغلاردیم،

قیش دوندوران اورکلری داغلاردیم (شهریار، ١٣٧٣: ٤٦).

حیدر بابا حین تعبر الجبال الشاهقة المليئة بالثلوج* و حین یضل الרכب باللیل طریقهم* فأنا اعرفهم من بعيد اینما أكون ولو كنت بطهران أو القاشان* والخیال یأتیهم ویمر بهم* لیتنی استطیه الصعود علی التلال الرفیعة* وأرافقها فی أنینها وبکائها* وأکوی القلوب التي جمدها برد الشتاء

تهیج رؤیة الثلوج فی ذروة الجبال الشاعر فیعانی آلام الغربة ویتجرع غصصها، ویؤلم ویبکی هوی وحنیناً وشوقاً إلى دياره. یخاطب جبل حیدر بابا وأخذ یحادث من حنینه إلیه وقلبه تستعر فیہ نیران الحنین إلى لقاء الأهل والدیار. أدرك الشاعر الرفی لحظات الفراق

في المدينة، قسوتها وعدم الحب بين أهلها، فهذا أضفى على كلامه الشعور بتأوه وتحسّر يبدو من الصوت والموسيقى الذي اختاره. يتمنى الشاعر أن يعود مرة أخرى إلى تلك الأيام، سيطرةً خياله ويتمنى أن يصعد مرة أخرى ذروة "دام قيه" وبنبأه من داء الفراق ومصائب الدهر ومن تعلقه بهذه الديار، ولجأ إلى الدمع يستشفى ما ألم به. الحضور المقدس لصوت الشين وهو صوت يحمل التوسع وحالة من التفشي، يدلّ على حدة اغتراب الشاعر.

اذ يصل الشيخ الوائلي إلى المقطع الأخير من قصيدته المطوّلة، فإنه سرعان ما يبدأه بالقسم "بحق رمل" وادى الغرى الذي طالما اشتاق إليه الشاعر الشيخ في منفاه الاضطراري، بعد أن تعرّض للمضايقات من السلطة الحاكمة، وتعرّض أنجاله للملاقة والسجن، فيقول:

اشتاقيه فى غدوتى ومسائى	وادى الغرى وحق رملك وهو ما
ملهوبته كالجمر فى الظلماء	لو تستبين على البعاد مشاعرى
و بمقلتسى تلفت الغرباء	وصبايتى وأنا القصى عن الجمى
ضح الحنين بأدعى ودمائى	لحزنت لى ولحن رملك مثلما
عطف الأب الحانى على الأبناء	فأنا ابنك البر الوفى وفطرة

(الوائلي، ٢٠٠٧: ٢٩١)

يوجه الشاعر حديثه إلى الطبيعة بصيغة المخاطب ليكون أكثر قرباً منها، وقسم بحق رمله مازال يشتاقيه فى الغدوّ والآصال. فى البيت الثانى يشبه الشاعر مشاعره ولوعته بالنار المتوقدة فى الظلمات، والظلماء كناية عن الفراق وما لقي من الضيم؛ الظلمات التى يحسّ فيها الشاعر بالاختناق والضياع. قد أضفى الشاعر صفة الأنسنة عبر استخدام التشخيص ويمثل حصى واديه كإنسان محزون يحزن من فراق الشاعر ونأيه من وطنه وتشاركه فى آلام الغربية والوحدة. ويتذكر فى البيت الخامس حنين الأب على أبنائه وأراد من هذا الطريق أن يستجلب إنتباهه، لأن الأب هو المسؤول عن الأسرة فى قضاء حوائجها والدفاع عنها، وتحت جناحه تشعر الأسرة بالأمان.

ويقول شهربار فى المستوى المكاني عن ريفه "خشكناب" ويتغنى بها ويتحسر:
حيدر بابا، قره گولون درهسى،



خشگنابین یولی، بندی، برهسی؛
اوردا دوشهر چیل کهلیگین فرهسی،
اوردان گنچر یوردوموزون ئوزونه،
بیزده گنچک یوردوموزون سوزونه،
خشگنابی یامان گونه کیم سالیب،
سیدلردن کیم قیریلیب، کیم قالیب،
آمیر غفار دام - داشینی کیم آلیب؟
بولاخ گنه گلیب، گولی دولدورور؟

یا قورویوب، باخجالاری سولدورور؟ (شهریار، ۱۳۷۳: ۴۳-۴۲).

حیدر بابا! هل تذكر وادی الزهرة السوداء؟* ودرج خشکتاب ومضيقها ومنحنياتها*
حيث تحل بها فراخ الاحجال* حيث تمر منها الطريق إلى موطني وبلدي* فلنتحدث
عن الوطن* من الذي اخال ايام خشکتاب إلى الليالي السوداء؟* فمن من السادات لقي
حتفه ومن بقى على قيد الحياة؟* من الذي اشترى بيت مير غفار السيد* وهل تسدق
مياه العين وتملاً الغدير؟* أم نضبت مياهها ولا تروى الحدائق وتجلب لها الذبول؟
وقف الشاعر على المنازل والأجزاء وتفاصيل مكانية أخرى يستعيد الذكريات مصوراً
حيرته وألمه لفراقه بدقة متناهية، وهو في هذه الأبيات يصرح بذكرياته وحنينه إلى ريفه
"خشگناب" الذي نأى عنه وابتعد فطال شوقه إليه، واشتد به الحنين إلى رؤيته ولقائه.
ويسرد قصته وخواطره فيه ويسأل من جبل حيدر بابا من ساكني خشگناب والأحبة الذين
كانوا يقطنون هذه الديار وتبرز ألمه من المصائب التي نزلت على ريفه طوال الدهر.

الخاتمة

قد كان اغتراب الشعراء المشير الأول للحنين الذي كان مدعاة للاستذكار الشعري
المتنوعة التي أفضت إلى تشكيل القصيدة عندهما موضوعياً وفنياً. كان لتجربة شاعري
الحياتية التأثير الكبير في تعدد الاستذكار الشعري وتنوعها ما أدى إلى إغناء شعرهما
وإرتقائهما على المستوى الفني. كانت تصاویر شعرهما وموسيقاهما في خدمة الفكرة و
تؤدي هذه الصور وظيفةً جماليةً منظمة ذات رتبة لدى المتلقي ويجعل دور المتلقي مركزياً

في عملية الإيصال، مما يساعد على إزالة الفواصل بين شعور المتلقى والمرسل وهذا الأمر أكثر مشهوداً في ملحمة حيدرآبا؛ ربّما يعود دليل هذا الأمر إلى أنّه شاعر رومانسيّ وأنشد شعره بلغة أمّه وانعكس ثقافة ريفه بدقة متناهية وبما أن الريف له أثر كبير بالنسبة إلى معالم المدينة إذن شعر حيدرآبا وشخصية شاعره وفنّه وحذاقته في إبراز تجربته بواسطة التصاوير الفنية له أثر كبير وإعتماده أسلوبَ السرد كان مناسباً لموضوع ملحمته. الجدير بالذكر أنّ قصيدة الوائلي تبيّن لنا عاطفة متدققة للشاعر وخياله الخصب ساهما بفاعلية في التشكيل اللغوي والتصويري لقصيدته. كما للطبيعة بعناصرها المختلفة دورها الفاعل في تشكيل مستويات الاستدكار الشعري في شعرهما. عنوان قصائدهما قريب من موضوعها وعبارات شعرهما رمز للخصب والنشوة والتجدد والحركة.

المنايع والمآخذ:

القرآن الكريم

الف الكتب

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم؛ ١٤٠٨هـ، لسان العرب، على شيرى (تعليق)، دار إحياء التراث العربي

اسماعيل، د.عزالدين، ١٩٨١، التفسير النفسى للأدب، دارالعودة، ط ٤

ثروت، يوسف عبدالمسيح، ١٩٧٧، الطريق والحدود، مقالات في الأدب والمسرح والفن، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد

الجبوري، يحيى، ٢٠٠٨، الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان، دار مجدلوى، عمان، ط الثاني

جعفر، عبدالكريم راضى، ١٩٩٨، رماد الشعر: دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، دارالشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١

دملخى، ابراهيم، ١٩٨٣، الألوان نظرياً وعملياً، ابراهيم دملخى، مطبعة أوفست الكندي، حلب، ط ١

الرازي، محمد بن ابى بكر، ٢٠٠٦، مختار الصحاح، دار الرضوان، حلب

ربابعة، موسى، ٢٠٠٠، تشكيل الخطاب الشعري، دراسات في الشعر الجاهلي، ط ١، جامعة اليرموك

الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر، ١٣٨٥هـ، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر

تجليات الحنين في الاستذكار الشعري...

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، الحلبي، مصر، لا تا

شهریار، محمد حسین، ۱۳۷۳، کلیات دیوان شهریار (ترکی)، انتشارات زرین، تهران، چاپ ۸
الطاهر، علی جواد، ۱۹۸۳، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، الموسوعة الصغيرة دار الحرية
للطباعة بغداد

عساف، عبدالله، ۱۹۹۶، الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا، عبدالله عساف، دار دجلة، القامشلي، ط ۱
عياشي، منذر، (۲۰۱۵م) الاسلوبية و تحليل الخطاب، ط ۱، دمشق، دارالنينوى
القارى، على، تصحيح: على بن سلطان محمد الهروي، ۱۰۱۴هـ، الأسرار المرفوعة، بيروت، مؤسسة
الرسالة

مثنى كاظم، صادق، (۲۰۱۵م) أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغى، بيروت، دار الأمان
نجيب عباس، غانم، (۲۰۰۶م)، الشيخ الدكتور أحمد الوائلى مفكراً. مريباً. خطيباً. و شاعراً، بغداد،
مكتب أحمد الدباغ

الوائلى، الشيخ أحمد، ۲۰۰۷، الديوان، شرح و تدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، لبنان، ط ۱
الوائلى، الشيخ أحمد، ۱۹۹۸، ديوان الثانى، دار الكتاب الإسلامى، بيروت-لبنان، ط ۱

(ب) المجالات

شيخي، علي رضا، وجعفر عبودي، ۱۳۹۳، الإستعمار وأساليب مكافحته في شعر الجواهرى وشهريار،
بحوث في الأدب المقارن، جامعة رازى - كرمانشاه، السنة الرابعة، العدد ۱۶

الضبع، مصطفى، ۱۹۹۸، استراتيجية المكان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، عدد ۷۹
لوتمان، يورى؛ ترجمة وتقديم، سيرا قاسم، ۱۹۸۶، مشكلة المكان الفنى، مجلة ألف، العدد ۶

(ج) الرسائل

حمزة، نصيرة أحمد، ۱۹۸۹، البناء الفنى في شعر ابن الرومى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة
بغداد